الاثر اليوناني في الادب العربي

للأستاذ فخري أبو السعود

كانت الثقافة اليونانية خلاصة ثقافات البحر الأبيض القديمة: لأنها إلى جانب ما استوعبته من الحضارات الشرقية تمثل نتاج العقل اليوناني الذي كان أخصب عقل ظهر في العصر القديم. فلما مضى ذلك العصر ودالت دولة اليونان وكان العصر الوسيط كان العرب هم السابقين الى التعرف بالثقافة اليونانية فأخذوا من علوم اليونان وفلسفتهم، ثم تعرف الأوربيون بعدهم بتلك الثقافة في عهد النهضة، وأوسعوا علوم اليونان وفنونهم دراسة ونقلا ومحاكاة. فأغنوا بذلك علومهم وفنونهم الناشئة وشادوا على ثقافة اليونان صرح حضارتهم الحديثة.

بيد أن الذي يسترعي النظر أن العرب حين اتصلوا بثقافة اليونان اقتصروا على اقتباس بعض علومهم وفلسفتهم دون الآداب والفنون، فدرسوا أرسطو وافلاطون، وعرفوا أبقراط وفيثاغورس، ولكنهم أهملوا هوميروس وسوفوكليس وأوريبيدس، على حين لم يفرق الأوربيون بين ناحية من نواحي الحضارة اليونانية وناحية أخرى، بل أكبوا على دراسة الجميع، وبينما تقدمت علومهم على مر العصور عن علوم اليونان أشواطاً بعيدة واستغنت عن معينها ظلت الآداب والفنون اليونانية مرجعاً دائماً للآداب والفنون الأوربية ومهبط وحي لا يفنى، ولم ينفك كتاب الغرب وشعراؤه الى اليوم عن تمجيد الثقافة اليونانية والحث على الرجوع اليها دائماً، فما السر في اختلاف موقف العرب عن موقف الأوربيين حيال تراث اليونان؟

السر راجع الى سليقة العرب المطبوعة على البيان، المفطورة على فصاحة اللسان، فان العرب نظراً لبيئتهم البدوية وحياتهم المتنقلة لم يكن لهم سوى اللسان أداة للتعبير عن شعورهم الفياض، فلم يكن التصوير ولا النحت ولا غيرهما من الفنون ليزكو في بيئتهم تلك، ومن ثم تأصلت في العرب سجية البلاغة وارتقت بينهم مرتبة البلقاء وتوطدت لغتهم ونضج أدبهم وهم على بداوتهم وقلة حظهم من الحضارة، وكان لهم بعصبيتهم ولغتهم اعتداد شديد، فلما نهضت دولتهم بظهور الاسلام ودخلت الأمم في طاعتهم ودينهم أفواجا ازدادوا اعتداداً بسريتهم ولغتهم وشعرهم وقرآنهم المبين، فلم يكن في نفوسهم حافز الى الاطلاع على آداب غيرهم ولا لديهم رغبة في التلمذ لسواهم، بل كانوا يرون أنفسهم هم الأجدر أن يحتذوا ويؤخذ عنهم، ولقد أخذ كثير من الأمم المفتوحة لغتهم واصطنعوا أدبهم بالفعل، وأصبح الناشئون في الأدب من أبناء الأجيال التالية لا يرون أن شيئاً يوصل الى نيل الفصاحة والحكمة وحذق الأدب وراء دراسة القرآن واستيعاب شعر فحول المتقدمين، وانما كان العرب أميل الى الاعتراف بالقصور واظهار الرغبة في الأمور التي لم يكن لهم فيها إلى ذلك الوقت باع ولا يد كالعلوم والفلسفة، فلم يروا ضيراً في أخذها على أساتذة اليونان.

ولم يقتصر أثر اعتداد العرب بأدبهم وشعرهم على ذود الأدب اليوناني عنهم، بل ذاد عنهم غير الأدب من الفنون: فلقد اطلعوا في أطراف دولتهم وبلاد جيرانهم على ما كان لدى اليونان والرومان والفرس والمصريين من تصوير ونحت، فما خطر لهم أن يحاكوا شيئاً من ذلك، وكان كل ما يساور شاعرهم حين يشاهد أثراً من هاتيك الآثار أن يتمثل بطش الدهر وحلول الفناء وسقوط الجبابرة فيقول:

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما ذاك إلا لانصراف كل قوى العرب الفنية الى ضرب واحد من الفنون هو الأدب واستغراقها فيه. فهي لا تحاول وسيلة أخرى سواه للتعبير عن نفسها، ومن ثم ظل العرب طوال عصورهم لا يعرفون من الفنون سوى الأدب والموسيقى المعتمدة عليه المرتبطة به ارتباطاً وثيقاً، فلا تصوير ولا نحت ولا تمثيل، اللهم الا ذلك الضرب الوحيد من الزخرفة ذات الأغراض العملية المحضة، ومن الخطأ نسبة انعدام تلك الفنون بين العرب الى الدين: فضلا عن أن الدين لا ينافي شيئاً منها فانه لم يحل دون استمتاع العرب بالموسيقى وغيرها حين أرادوا.

فالعرب إذن اتصلوا بالثقافة اليونانية في غير الوقت الملائم: في وقت متأخر، كان أدبهم فيه قد نضج وقوى، وصار لهم من الاعتداد بنفسه ما يثنيه عن التلمذ لغيره، أما الآداب الغربية فعرفت تلك

الثقافة فى عهد طفولتها ونشأتها، وهى لما تزل عاجزة تعترف بعجزها وتتلهف الى المعرفة حيث وجدتها ، فلم تتردد فى الانتفاع بتراث اليونان الى أبعد حد ، فأثرت أيما إثراء بما أخذت عن اليونان من المواضيع والأشكال الأدبية ، ومد الأدب اليونانى أمامها آفاق التفكير الواسعة وآماد المثل العليا وصور الجمال المختلفة ، ووجدت فى تاريخ اليونان وأدبهم وأساطيرهم ومنتجات فنونهم من صور وتماثيل وآثار منادح للكتابة والدرس والنظم ، ومنابع للوحى لا تنضب .

فلا غرو أن طفرت تلك الآداب الغربية التى لم تكد فى عهد النهضة تكون شيئاً مذكوراً ، والتى كانت لغاتها ذاتها ما تزال فى طور التكوين ، فاذا هى بعد قرون ثلاثة أو أربعة تسبق الأدب العربى وهو أعرق منها محتداً وتفوقه اتساع آفاق وتعدد مواضيع ، لأن الأدب العربى الذى لم يكد يستفيد بأدب أمة أخرى ظل فى مكانه جامداً يكرر نفسه ويعيد على نفسه الأبواب عينها التى جال فيها المتقدمون من فخر ورثاء ومدح وهجاء ، حتى اذا كان العصر الحديث اذا هو يقف من الآداب الغربية موقف التلمذ والتلقن .

ان تمكن ملكة البيان من العرب — مما جعلهم لا يدينون الا لنبى يأتيهم بكتاب معجز ، وجعل خلفاءهم يتخذون وزراءهم من أئمة البيان — واعتدادهم بأدبهم واستغراق مجهودهم الفنى فيه وحده ، هذا كله فى مجموعه كان عاملا شامل الأثر بعيده فى تاريخهم وأدبهم ، ولقد كان أثره فيما يتعلق بالتراث اليونانى بليغ الضرر ، فخسر العرب خسارة كبيرة باغفال الأدب اليونانى الحى على توالى العصور ، الشديد الايحاء القوى التأثير ، الذى كان بلا ريب أغنى من أدبهم . ولو لقح به الأدب العربى لاتسعت جوانبه وانصرف عن تلك الأغراض العلمية التى احتبس فيها إلى عوالم الفن الخالص وتغير مجرى تاريخه وأفاد العرب بذلك أضعاف ما أفادتهم دراسة الفلسفة اليونانية .

ونحن اليوم بدراسة الآداب الغربية والأخذ عنها بطريق غير مباشرة عن تلك الثقافة اليونانية ، وندخل فى أدبنا ذلك العنصر اليونانى الذى لابد منه لكل أدب يريد له مكاناً بين الآداب العالية ، واذا وقف شاعرنا العصرى أمام الأهرام فلم ينصرف ذهنه الى بطش الدهر بالجبارين الذين أعلوها ولم يتنبأ لها باللحاق بهم ، بل حيا فيها الفن وعظم قدرة الانسان وقال :

أهرامهم تلك حى الفن متخذاً ... من الصخور بروجا فوق كيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ... مايأخذ النمل من أركان ثهلان

فما ذاك إلا لأننا قد تأثرنا بتلك الروح اليونانية التى تعظم الفن الخالص فى مختلف صوره وتمجد قدرة الانسان فى مصارعتها للفناء ، تلك الروح التى كان أغفلها أجدادنا العرب .

فتحى أبو السعود

انما يرثها المؤمنون

احلاف الأمل

للأستاذ أديب عباسى

الحياة كالسفينة : قلعها الأمل ، ودفتها الفكر ، والرابط لأجزائها واللأم لشعثها هو الايمان . والعقل يرسم الخطة ، ويبين الاتجاه ، ويدل على الطريق . والأمل شراع الحياة الذى يدفعها فى أوقيانوس هذا العالم المضطرب وفوق لجه المصطخب ، والذى يتلقى القوى من أين جاءته وأنى واجهته ليحيلها فى النهاية قوى للدفع والانتظام فى السير . أما الايمان فهو هذا الذى يشد أضلاعها ويوثق أجزاءها ، فلا يوهنها العاصف الشديد ولا يمزقها ، أبداً . وهو الذى يعدل انحناءها ويقوّم استواءها ، فلا توهيها الصدمة ولا تزعزعها الزحمة . وبالقدر الذى تظفر به الحياة من توازن وائتلاف بين هذه القوى الثلاث يكون الخير والنجاح ، وبالقدر الذى تتنافر وتضطرب يكون الفشل والخيبة . انظر الى المتشائمين الصارخين فى وجه الحياة الدافعين لها فى الصدر ، ترهم من أولئك النفر الذين كبرت عقولهم ونضبت آمالهم وتزعزع ايمانهم ، فأضوا كالقارب قد تخرق قلعه ، وحطمت دفته . يقابلهم المتهورون الذين لا ينزلون للعقل على حكم ، ولا للمنطق على قاعدة : فتراهم يسيرون فى هذه الحياة على غير توجيه يوجهونه ، أو هدى يتوخونه ، فلا يلبثون أن يرتطموا بصخورها الناشزة ، فتتحطم آمالهم وتبخر الحقيقة أمانيهم كما تبخر الشمس أحلام النائم .